الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل وتعليمه

للدكتور محيى الدين عبد الحليم(*)

﴿يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ صدق الله العظيم

مقدمـــة:

تهدف هذه الدراسة لوضع تصور لنظام إسلامي لإعلام الطفل يأخذ في اعتباره الإفادة من معطيات التكنولوجيا المعاصرة، والتعامل مع متغيرات الحياة الحديثة بذكاء وحذق، ويقوم في منهجه على قواعد علمية سليمة مع إلتزامه بالثوابت الإسلامية التى جاء بها كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، ويعتمد في ممارساته على الطاقات البشرية المؤمنة والجادة والقادرة على استخدام الوسائل والأدوات المناسبة في الوقت المناسب لهذه الشريحة العمرية الخاصة.

هذا ولكن وسيلة إتصال مقدرة معينة على الإقناع والاستمالة والجذب، ذلك أن الإمكانات الفعلية للوسائل الإعلامية تختلف حسب فئات الجمهور المستهدف، وهو هنا جهود الأطفال.

وفي الحقيقة أنه إذا تم وضع خطة علمية سليمة، وتم إعداد برامج وفقرات وموضوعات متكاملة الأبعاد، ومتناسقة التخطيط، تستهدف عقل

(*) أستاذ الدراسات الإسلامية جامعة قطر

الطفل ووجدانه، فإن الاستراتيجية الإعلامية هنا سوف تتمكن من بناء طفل سليم العقل، صحيح البنيان، مؤمن بربه، حريص على حقوقه، متقن في واجباته.

وهذا يتطلب إعادة النظر في كل ما يكتب ويبث للأطفال لتقييمه، ومعرفة آثاره وسلبياته لدعم الإيجابيات وتلافي السلبيات، وإعداد الأعمال الجيدة لتكون قادرة على الإسهام في البناء الفكري والوجداني للطفل المسلم، لا سيما أننا لا نستطيع أن نحول بين الطفل وبين تعرضه للبرامج والفقرات والأعمال الدرامية التي تبثها القنوات المحلية والعالمية بما تحمله من جاذبية وإبهار، مما يتطلب وضع خطة إعلامية لتحصين هذا الطفل في مواجهة هذا الزخم الإعلامي الكثيف.

مكانة الإعلام في الحياة المعاصرة

لم نعد بحاجة إلى أن نؤكد على الأهمية البالغة والمكانة الكبيرة التى يحتلها الإعلام في المجتمع المعاصر، وذلك بعد أن أصبح جزءا رئيسيا من الحياة اليومية للأفراد والجماعات المختلفة سواء في الأنظمة الديمقراطية أو الشمولية...في البيئات الزراعية أو الصناعية... في المجتمعات المتقدمة أو النامية.. فلم يعد المرء يستطيع الحياة دون الإتصال مع غيره من الناس، ودون مواكبة ما يدور حوله على الساحتين المحلية أو العالمية.

ولو لم يسع الإنسان إلى قنوات الإتصال فإن هذه الوسائل سوف تسعى إليه تتقدم له ما يدور حوله من أحداث، وما أفرزته الأدمغة البشرية من علوم ومعارف، لا سيما بعد أن فرضت التكنولوجيا المعاصرة وثورة المعلومات نفسها عليه، وأعطت لهذه الوسائل الفاعلية والقدرة على التغيير وتكوين الاتجاهات، فأصبح إنسان اليوم أسيرا لوسائل الإتصال تحاصره في كل وقت وفي كل زمان فلا يستطيع الفكاك منها أو الحياة بدونها.

كما أن التقدم العلمى الكبير الذى تم احرازه في استخدام فنون وأساليب الإتصال الإذاعى والصحفى والمواجهى مكن النشاط الإعلامي من أن يجذب الجمهور ويغريه بما يقدمه من أعمال درامية وقوالب حوارية وفنون أخبارية وثقافية، وغيرها مما يستلفت انتباه الجمهور ويشد اهتمامه بطرق الجذب وأساليب الإستمالة وفنون الإقناع، وقد أضافت القنوات الفضائية وأقمار الإتصال وثورة المعلومات بعدا جديدا للنشاط الإعلامي وأحاطت الإنسان من كل جانب بالعديد من روافد الفكر وطرق التسلية.

وازداد الاهتمام ببحوث الإعلام بصورة ملحوظة في الآونة الأخيرة من أجل معرفة أثر وسائل الإتصال على الناس، إلا أن الحديث عن وجود مردود لهذه الوسائل على الفرد أو المجتمع لم يعد موضع جدل أو نقاش، ولكن الجدل والنقاش يدون حول كمية هذا التأثير ونوعه، وهل هو تأثير إلى الأحسن أو إلى الأسوا[1].

لقد أصبحت وسائل الإعلام تمد الجماهير بسبيل لا ينقطع من المعلومات والصور والأفكار، وبالتالى فقد حققت للإنسان ميزة لم تكن موجودة من قبل، فجعلته يستطيع متابعة الأحداث والقضايا العصرية والفكرية والإستكشافات العلمية أثناء حدوثها.

وقد مكنت ثورة الاتصال المعاصرة الوسائل الإعلامية من الوصول إلى ملايين الناس في اللحظة الواحده وأصبح الخبر يطوف المعمورة كلها في نفس الوقت، حتى تحول العالم إلي قرية إلكترونية، وغدت الدنيا كلها في متناول بصر الإنسان وسمعه، ولم يعد الإعلام يقتصر على مئة معينة أو ينحو إلى تقديم معلومات خاصة، ولكنه أصبح قادرا على التوجه إلى الإنسان أيا كان وحيث يكون.

وتلعب التكنولوجيا المعاصرة في وسائل الإتصال ونظم المعلومات دورا كبيرا في إحداث تغييرات جوهرية على حاضرنا ومستقبلنا أردنا ذلك أو لم نرد، وسوف تترك هذه التغييرات آثاراً بارزة على البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمختلف المجتمعات، وتؤدى إلى خلق قنوات وطنية

---

1) Wells, Herman and Wilis Benjamin. Mass Communiction and Edueation, Washington, Edueational Putieies Cmmission. 1958 P.7-8.

وعالمية لتنظيم المعلومات ونقلها من خلال توظيف أحدث الأجهزة الإلكترونية والمغناطيسية في هذا الصدد.

وتؤكد الأبحاث الإعلامية أن لكل واحدة من وسائل الاتصال مقدرة خاصة على الإقناع تزيد أو تقل عن غيرها من الوسائل الأخرى، أي أن القدرة الإقناعية لمختلف الوسائل تختلف بشكل واضح من وسيلة إلى أخرى وفقا للموضوع الذى تعالجه ووفقا للجمهور الذى تتوجه إليه، كما كشفت الأبحاث أيضا أنه كلما ازداد الطابع الشخصى للوسيلة ازدادت قدرتها على الاقناع، فالاتصال المواجهى أكثر قدرة على الإقناع من الراديو، والراديو أكثر فاعلية من المطبوع، وأن تأثير التعرض لعدة وسائل أفضل من التعرض لوسيلة واحدة[٢] وتطبيقا لذلك فإن الجمع بين أكثر من وسيلة يحقق تأثيرا واضحا ويضاعف عدد المزايا ويمكن عملية الاتصال من تحقيق غاياتها، لا سيما أن كل وسيلة من هذه الوسائل تحقق غايات معينة وتتوجه إلى فئات خاصة من الناس، وهذا يحكمه نوع الجمهور المستهدف من حيث مستوياته العلمية والاجتماعية والثقافية[٣].

أي أن نجاح عملية الاتصال يتوقف على حسن اختيار الوسيلة المناسبة في الوقت والظرف الاتصالى المناسب، فالراديو أقدر على التعامل مع الجمهور النشط وتقديم الخدمة الإخبارية السريعة، ومخاطبة كل الفئات

(٢) جيهان رشتى: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧٢م، ص ٣٦١.

(٣) صلاح جوهر: علم الاتصال – مفاهيمه، نظرياته، مجالاته، القاهرة، مكتبة عين شمس، ١٩٧٩م، ص ٢٣.

والطوائف مهما اختلفت درجات تعليمها أو مستوياتها الثقافية أو الفكرية أو الاقتصادية، والتوجه إلى الجمهور في أي وقت وفي أي مكان، اضافة إلى قدرته على خدمة جمهور نشط يؤدى عملا يدويا في نفس الوقت، ويتميز الراديو بقدرته على جذب المستمع والاستحواذ على اهتمامه من خلال المؤثرات الصوتية والموسيقى والحوار اضافة إلى قدرته على تحقيق المشاركة الجماعية في الاستماع والتعرض لبرامجه(٤).

والتليفزيون يعتبر أقدر وسيلة عرفها الإنسان في مجال الإعلام فهو اذ يجمع بين الصوت والصورة والحركة واللون، فإنه يستطيع أن يسيطر على حاستين من أهم حواس الإنسان وأشدها اتصالا بما يجرى في نفسه من أفكار ومشاعر وهما حاستى السمع والبصر، وهو إذ ينقل إلى المشاهد الأحداث أثناء وقوعها بكل ما فيها من مكان وانفعالات فإنه يربط بينه وبينها وهو اذا يقدم للمشاهدين معلومات جديدة سواء في محيطهم أو خارج هذا المحيط فإنه يوسع نظرتهم للحياة بأسلوب سهل وبطريقة مشوقة، وهو إذ يعرض القضايا الاجتماعية القائمة في المجتمع فإنه يثير الوعى، والاحساس بهذه القضايا ويوجد دافعا وحماسا ورغبة للمساهمة في حلها، وتدل الأبحاث العملية على أن تأثير التليفزيون في حالة توافره يفوق تأثير وسائل الاتصال الجماهيرى الأخرى(٥).

---

٤) Barnonw, Erik, Mass Communieution, New York, Rinhart and company, 1950, P.6.

(٥) محى الدين عبد الحليم، الاتصال بالجماهير والرأى العام، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م، ص ١٠٣.

والصحافة تمكن المتلقى من قراءتها وقتما يشاء وفي أي وضع يريد، وتسمح بحرية أكبر من التخيل والتفسيرات، كما أنها أقدر على مخاطبة الجماهير النوعية من خلال الإصدارات المتخصصة لمختلف الفئات والأعمار.

والسينما تمتلك قوة استهواء مباشرة للجماهير، وغنى عن البيان أن عادات الممثلين على الشاشة سرعان ما تنتشر بين الصبية والمراهقين وغيرهم من شديدى الحماسية للاستهواء، وقد أثبتت البحوث العلمية أن السينما أقدر على تغيير المعلومات، في حالة توافرها وإن كانت لا تستطيع تغيير الآراء والأفكار(٦).

وقد أضافت القنوات الفضائية بعداً أخر في حقل الاتصال الجماهيرى وذلك من خلال الشبكات الدولية التى تتميز بقوة في التأثير وقدرة على الجذب والاستمالة وسرعة في توصيل الرسالة لتسهم بدورها في تحقيق عالمية المعرفة وإلغاء عنصرى الزمان والمكان في النشاط الإعلامي، وتشكل الأقمار الصناعية الثورة الخامسة في عالم الاتصال الإنسانى بعد الثورة الأولى التى تمثلت في اكتشاف الكلمة المنطوقة، والثانية التى بدأت باختراع الكتاب والثالثة التى تلت اختراع الطباعة، والرابعة التى نتجت عن اكتشاب وتطور الإلكترونات والتى ولدت معها الهاتف والبرق والراديو، والتى اعقبها نقل الصور بخطوط المواصلات السلكية، وتحركت الصورة على شاشة السينما ثم صاحبها الصوت والصورة، وجاء التليفزيون بعدئذ، وعرض

(٦) عبد اللطيف حمزه، الإعلام، تاريخه ومذاهبه، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٥م، ص٢١.

صوراً متحركة ناطقة للأحداث في وقت وقوعها[٧] أي أن وسائل الإعلام في المجتمع تضطلع بمهام حيوية وتؤدى وظائف على درجة كبيرة من الأهمية كتزويد أفراده بالأخبار والمعلومات وتقديم التحليل والتفسير لهذه المعلومات، كما تقوم بمهمة التعليم والإعلان والعلاقات العامة والترفيه، وهذا التفاعل بين هذه الوسائل والمجتمع يسهم إسهاما فعالا في تطوير هذا المجتمع ويبشر بميلاد الدولة العصرية[٨] وهكذا يتضح لنا أن وسائل الاتصال الجماهيرية تستطيع استعمال أفضل الخدمات التعليمية في برامجها المختلفة، الأمر الذي ييسر للمتعلمين أحسن فرص التعلم، وتساعد على نشر المعلومات العلمية والحياتية لمسافات بعيدة ولمجموعات كبيرة من المتعلمين، وتقدم خبرات وتجارب واسعة، الأمر الذى لا يمكن تحقيقه بأية طريقة أخرى، كما تساعد على تقديم المعلومات والتجارب بصورة فورية، وتؤدى إلى الاحساس بالالفة بين المادة المعروضة والمتعلم الذى يتلقى عنها وذلك بما يتوافر لها من إمكانات فنية تساعدها على التعبير الصحيح عن المضمون العلمى، وتقود إلى إحداث التأثير المناسب لإثارة الإنتباه للرسالة المقدمة ومتابعتها مما يعتبر أمراً حيويا لمتطلبات التعليم المهم هنا هو كيفية استثمار ايجابيات هذه الوسائل وتلافى السلبيات التى تنجم عنها والتى قد تضعف من تأثيرها لدفع عجلة الحياة في العملية التعليمية ودعم نشاط المدرسة لتكون امتدادا لها ورصيداً استراتيجيا لخططها من خلال البرامج والفقرات المتخصصة والعامة وذلك

---

(٧) على عجوة وأخرون، مقدمة في وسائل الاتصال، جدة، مكتبة مصباح، ١٩٨٩م، ص١٧٦.

(٨) عبد العزيز شرف، التفسير الإعلامي لأدب طه حسين مجلة الفن الإذاعى، القاهره، عدد يوليو ١٩٨٦م.

انطلاقاً من الأهمية البالغة التى يحتلها التعليم كواحد من أهم دعائم المجتمع المعاصر وأهم عوامل لتحديث أنماط الحياة به.

الإعلام والطفل المسلم

تركزت الدراسات الإعلامية المعاصرة على مختلف الشرائح الجماهيرية والفئات العمرية المختلفة.

فهناك من الدراسات ما تناول قضايا المرأة، ومنها ما تناول قضايا الشباب، وغيرها من الطوائف والشرائح الجماهيرية المختلفة، إلا أن نصيب الأطفال من هذه الدراسات كان متواضعا إلى حد كبير، إذا ما قارناه بالدراسات الإعلامية لمختلف الفئات الأخرى، وهو نصيب لا يتفق أبدا مع مكانة الطفل في المجتمع المعاصر، وحتى بعض الدراسات الصغيرة والفقيرة التى أجريت حول إعلام الطفل المسلم لم تربط بينها وبين الفكر الإسلامي، ولم تصطبغ بهذه الصبغة، ولكنها اعتمدت على الدراسات والمعطيات الفكرية العامة.

وقد نجم عن ذلك غياب استراتيجية إسلامية لإعلام الطفل، فلا نكاد نجد في أي من أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي خطة علمية محددة الملامح، واضحة المعالم للبرامج الإعلامية التى تتناول قضايا الطفولة، بل أننا نلحظ أن أجهزة الإعلام كثيراً ما تتخبط في تناولها لهذا الموضوع.

والذين يتحدثون عن إعلام الطفل يرونه محاطا بمربع مكون من أربعة أضلع، هى البيت، والمجتمع، والمدرسة، وأجهزة الإعلام.

وفي الحقيقة: أن أجهزة الإعلام تلقى بظلالها على الطفل المعاصر إيجابا وسلبا حتى أنه يصعب عليه أن يفلت من أسارها، فهى تحيط به إحاطة السوار بالمعصم، ومن ثم فهى قادرة على الإسهام بفاعلية في تعليم الطفل وتربيته، وتوجيهه، ذلك أن الأطفال هم أول من يستجيب لعمليات التعديل القيمى بحكم استعداداتهم النفسية.

المنهج الإسلامي لإعلام الطفل

إذا كان الخبراء وعلماء الاتصال قد شحذوا هممهم وأعملوا عقولهم لكى يقدموا فلسفة إعلامية تصوغ نشاط أجهزة الإعلاعم وتحدد لها أهدافها وتوجهاتها ومنطلقاتها.

وإذا كانت جهودهم قد أسفرت عن رؤى معينة، وادمغتهم قد أفرزت نماذج تصوغ النشاط الإعلامي فإن هذه النماذج جاءت لتعكس الواقع الفكرى والأيديولوجيات التى تنطلق منها هذه الرؤى، وقد طور الباحثون هذه النماذج أو الفلسفات الإعلامية، فمنهم من صاغها في أربع نظريات، ومنهم من زادها إلى ست نظريات فأضاف إليها نظرية إعلام التنمية ونظرية المشاركة الديمقراطية كما فعل ماكويل Me Quail[٩] وهكذا.

وفي الحقيقة أن الفلسفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكل أيديولوجية هى التى تحدد لوسائل الإعلام وظائفها وأهدافها ومعالجاتها والأدوار المطلوبة منها.

من هنا يصبح من الأهمية بمكان أن يكون للنظام أو للمدرسة الإسلامية في الإعلام منهجا متميزا يعكس طبيعة وأهداف هذه المدرسة لا سيما في حقل إعلام الطفل، ومن أبرز الأسس التى نرى ضرورة أن تقوم عليها هذه المدرسة ما يلى:

---

٩) Mcqeail, Denis; Mass Communication Theory, An Introduction, London, Nenhury, Park, 1987. PP. 111-123.

أولاً: الإلتزام بالثوابت في العقيدة الإسلامية، وتوظيف مختلف الوسائل الإعلامية لزرع هذه الثوابت في عقول الأطفال ووجدانهم، حتى تكون جزءا لا يتجزأ من الكيان الفكرى لهؤلاء الأطفال، وفي ثوابت لا تحتمل اجتهادات أو اختلافات في وجهات النظر كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وما إلى ذلك.

ثانياً: تربية النشئ على أصول المعاملات الإسلامية لتكون بمثابة عادات تتم ممارستها بشكل تلقائى، كالصدق في القول، والأمانة في العمل والأدب مع الكبار، والعطف على الصغار، والحياء، والشجاعة في الحق، ومعاودة المريض...إلخ.

إن المعاملات الإسلامية تأتى في مقدمة القضايا التى يجب أن تضعها أجهزة الإعلام نصب عينيها في تناولها لقضايا الأطفال، لأن الذى درج على الصدق في صغره سيكمل حياته صادقا، والذى تعلم الكذب أو النفاق في طفولته سيصعب تعديل سلوكه في شبابه وهرمه.

إن بناء الإنسان المسلم السوي يبدأ منذ مولده فيرضع مع لبن أمه القيم والمثل العليا والمفاهيم الإسلامية الصحيحة.

وما قد نراه من تفسخ في كثير من جوانب الحياة أو الشخصيات المسلمة يرجع بالدرجة الأولى إلى التنشئة غير السوية التى أفرزت شخصيات تغلغلت بعد كبرها في مواقع القيادة والريادة في العالم الإسلامي، فكانت معاول هدم ينخر في كيان هذا الأمة ومستقبلها.

إن المصدر الرئيسى لصياغة منهاج إسلامي لإعلام الطفل هو القرآن الكريم وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومنهما تتحدد فلسفة إعلام الطفل.

وإذا تتبعنا الأساليب والاتجاهات الإسلامية في تربية الطفولة سنجد أن غرض المسلمين في التربية لم يكن دنيويا محقا، كما لم يكن دينيا صرفا، بل كان غرضهم دينيا ودينويا معا، فقد كانوا يستهدفون إعداد المرء للحياة الدنيا والأخرة، ولذلك كانوا يرمون إلى تهذيب النفوس، وتحصيل الفضيلة(١٠): ملتزمين في ذلك بقول الحق – تبارك وتعالى – في سورة القصص:

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾(١١).

ثالثاً: إذا كانت وسائل إعلام الطفل لا يجب أن يعلو صوتها صوت الحق الذى أنزله الله لعباده، ويجب أن تلتزم بكل ما جاء به في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه المصطفى، فإن هذه المدرسة الإعلامية في الإسلام ليست فلسفة ثيوقراطية لأن النظام الإسلامي ما هو إلا نظام إنسانى، يقع فيه الخطأ والصواب ويتاح فيه للناس أن يعرفوا منه وأن ينكروا عليه، كما لا يحرم الجماهير من حق القول والنقد والإصلاح، وبالتالى فإن أجهزة إعلام الطفولة، لا يجب أن تتحول إلى أجهزة كهنوتية على غرار أجهزة الاتصال التى تعمل في خدمة الفاتيكان والمؤسسات الدينية الكنيسية،

(١٠) عواطف إبراهيم حمد، الأحساس الدينى عند الأطفال، القاهره، مكتبة المعارف، الدينية، ص٣.

(١١) سورة القصص، الآية ١٧.

التي تحيط نفسها بهالة من القداسة أو التي تحصر نفسها في دائرة المناسك والشعائر.

وقد فتح الإسلام باب البحث والاجتهاد في الأرض والسماء والهواء والماء لينتفعوا بها في حياتهم ويستخدموها في مقاصد التعمير والإنشاء، ويشتمل القرآن الكريم على العلوم الكونية والقانونية والعسكرية والسياسية وغيرها مع أنه نزل على رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب قط(١٢).

والمنهج العلمي التجريبي هو الذي استمد منه ابن الهيثم نظرية الضوء كما استخدم ابن خلدون مفاهيمه في بناء المجتمعات ونموها وسقوطها، وهو الذي هدى الخليل ابن أحمد إلى قوانين الموسيقى والشعر واللغة.

وقد فرض الإسلام التطور على أهله فرضا وذلك بالحض على العلم وتوجيه غايته توجيها خاصا، لأن الشخصية الإنسانية لا يقومها ولا يرقيها شيء غير العلم، وفي ذلك يقول الله - عز وجل - ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾(١٣).

وأطفال المسلمين أحرى وأحق بأن تزودهم وسائل الإعلام بكل جديد في دنيا العلم وعالم التكنولوجيا حتى يشكل ذلك جزءا من كيانهم الفكري ويشبوا وهم مدركون مسئوليتهم العلمية شأنهم في ذلك شأن آبائهم الذين أثروا العالم

---

(١٢) أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، القاهرة، مكتبة الدعوة الإسلامية، ١٩٦٤م، ص ٣٢٠.

(١٣) سورة المجادلة الآية ١١.

بعطائهم تأكيدا لما قاله جوستاف لوبون:

«أننا لا نرى أمة في التاريخ ذات تأثير علمى ولغوى ودينى بارز مثل أمة العرب»(١٤)

(١٤) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، ط٦ بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٧م، ص ٢٧٨.

عناصر عملية إعلام الطفل في المنظور الإسلامي

إذا كان الخبراء والباحثون قد حددوا السمات المميزة لكل واحد من العناصر التى تشكل عملية الاتصال لكى يكون كل عنصر في القالب الذى يترجم الواقع الاجتماعى والفكرى الذى تعمل من خلاله هذه العناصر.

فإن للإسلام منظوره الخاص فيما يجب أن يكون عليه كل عنصر من هذه العناصر وذلك على النحو التالى:

أولاً: القائم بإعلام الطفل:

يقول تشارلز براون Charles Brown إن اختيار العاملين في حقل الإعلام يجب أن يتم على أسس سليمة، كما يجب أن لا يخرضوا هذا المجال إلا بعد أجتيازهم عدة اختبارات عملية وعلمية وشخصية، كما أنه لا بد أن تمضى عليهم فترة أختبار للتحقق من صلاحيتهم لهذا العمل الخطر[١٥].

وإذا كان القائم بالإتصال يتوقف عليه نجاح الخطة الإعلامية أو فشلها، فإن المنظمات المعنية بذلك تتوقف كثيرا قبل أن تسلم أجهزتها الإعلامية لعناصر تنقصها الخبرة والعلم والذكاء والفطنة والمرونة وسعة الأفق والملكة الفطرية والثقافة الواسعة والسيطرة على التكنولوجيا المعاصرة.

فإن اختيار الكوادر الصالحة لإعلام الطفل المسلم يجب أن تلقى مزيدا من الاهتمام والتمحيص، لأن هذا اللون من العناصر البشرية في حاجة إلى

---

١٥) Brown Charles; Informing the people, New York, Pennsyivania State University, 1957. P.22.

مهارات خاصة، وملكات متميزة، وثقافة نوعية تمكنهم من مخاطبة هذه الشريحة العمرية عبر الوسائل المطبوعة أو المسموعة أو المرئية، إذ لا بد لمن يتصدى لإعلام الطفل المسلم أن تتوافر لديه مهارات وأخلاقيات اضافية، فإلى جانب فهمه ومعرفته بأصول الدين، لابد أن يتسم بالخلق الرفيع، والسلوك النموذجي، والإيمان الكامل برسالته والصدق في القول، لأن الأطفال تنظر إلى هؤلاء باعتبارهم نماذج حية لما يقولون أو يكتبون ويتأثرون بسلوكهم بفعل غريزة التقليد والمحاكاة.

وإنه على الرغم من أهمية إعداد عناصر صالحة لإعلام الطفل المسلم، إلا أن تأهيل هذه النوعية من الكوادر البشرية لا تكاد تلقى الاهتمام والرعاية الكافية من المعاهد العلمية والمؤسسات الإعلامية المختصة بتأهيل الإعلاميين، وباستعراض مناهج الدراسة في هذه المعاهد والمؤسسات نكاد نجدها خالية من برامج علمية وعملية لإعلام الطفل بصفة عامة. نأهيك عن الطفل المسلم بصفة خاصة، وينعكس هذا بدوره على البرامج والفقرات والموضوعات التى تقدم في الراديو أو في التليفزيون أو الصحف، فكثير منها لا يكاد يلبى احتياجات الطفل العقلية أو الوجدانية أو النفسية، وقد لا يجد الأطفال فيها ما يحقق رغباتهم ويحقق طموحاتهم.

ثانياً: إن الرسالة الإعلامية التى توجه إلى الطفل في المنظور الإسلامي، لا تقتصر على مسائل العبادات والشعائر والمناسك الإسلامية فقط، كطريقة الصلاة، وأصول الصيام، ومبطلات الحج...إلخ.

إنها رسالة شاملة تتناول قضايا الطفل المختلفة وذلك إنطلاقا من النظـرة الشمولية للرسالة الإسلامية التـى جـاءت شـاملة لكـل مـا يهم الإنسـان المسلم ويأتى ذلك مصداقا لقول الحق - جل وعلا - ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (١٦).

وهي رسالة تقوم على الكلمة الطيبة، والحكمة البالغـة، فـلا تسـئ لأحـد، ولا تحمل معـانى العنـف أو العدوانيـة، وهـي تخلـو مـن السـب أو القـذف أو النميمة أو الغيبة.

وهى تتسم بالوضوح في اللفظ، والبساطة في العرض، والبسر في الفهم، لكى تنسجم مع مستوى تفكـير هذه الشـريحة العمريـة، كمـا أنهـا تحـترم عقـل الطفـل، وتمنحـه مسـاحة مـن الحريـة الخلاقـة منعـا للجمـود العقلـى والتحجـر الفكرى والذى يظنه البعض جزءا من التركيبة الفكرية للإعلام الدينـى، وهـي رسالة تستند إلى اليقين وترفض الظن.

والمهم هنا هـو إكسـاب الطفـل المعـايير الدينيـة الصحيحـة أثنـاء عمليـة التنشئة الاجتماعية، كالحلال والحـرام وتـرد علـى تسـاؤلاته العديـدة عـن اللـه والملائكة والأنبياء، والرسل وغير ذلك من الأسئلة التـى تـزود الأطفـال علـى أن يتم ذلك بذكاء وحنكة فتغذى عقله وتـروى ظمـأه(١٧) وهنـا تصبـح الرسـالة الإعلامية مطالبة بما يلى:

---

(١٦) سورة النحل، الآية ٨٩.

(١٧) حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمـو ط٤، القـاهرة، عـالم الكتـب، ١٩٨٣م، ص ٢٦٣.

١- التنشئة الدينية السليمة للطفل منذ الطفولة المبكرة، وهنا ننوه إلى مسئولية البيت والوالدين وخصوصا الأم.

٢- عدم تحميل الأطفال مالا طاقة لهم به من خلال الاعتدال في التربية الدينية، والابتعاد قدر الأمكان عن القضايا الجدلية والغيبية والمسائل الخلافية في هذه المرحلة من العمر.

٣- الإجابة السليمة الواعية عن تساؤلات الأطفال الدينية، بما يتناسب مع مستوى إدراكهم.

٤- تنمية بذور الإيمان في نفوس الأطفال، حتى يشبوا مؤمنين ومخلصين، ومستقيمين في سلوكهم.

٥- التعامل بحذر وقدر مع برامج العنف والجنس والجريمة، وتوجيه الأطفال لما فيها من مخاطر وسلبيات.

ثالثاً: الوسيلة الإعلامية:

إن وسيلة الإتصال الصالحة لإعلام الطفل المسلم لا تقتصر بالضرورة على القنوات والمنابر الدينية البحتة كالمجلات والإذاعات الدينية المتخصصة، أو دروس الوعظ والإرشاد وما إلى ذلك.ولكن وسائل الاتصال بصفة عامة يمكن أن تضطلع بدورها في هذا الصدد كالصحافة العامة وبرامج الراديو التليفزيون، وذلك بصورة غير مباشرة، ذلك أن وسائل الاتصال العامة التي تدخل البيوت وغرف النوم يجب أن تأخذ في اعتبارها أن هذه المنازل تضم أطفالا يتابعون المسلسلات والأفلام والإعلانات ويتأثرون بها.

وبهذا نرى أن إعلام الطفل يمكن أن تحمله وسائل إسلامية متخصصة كمجلة المسلم الصغير على سبيل المثال، ويمكن أن تحمله وسائل إعلامية عامة خاصة بالأطفال مثل مجلتي مشاعل وسمير وميكي وأسامه وغيرها، ويمكن أن تحمله وسائل الاتصال العامة وكل واحدة من هذه الوسائل يجب أن تراعي جمهورها وتعالج قضايا الأطفال بمهارة وفطنة، ومعرفة دقيقة بظروفهم وقدراتهم، لا سيما وقد حققت وسائل الاتصال الحديثة درجة في الجذب والاستمالة والابهار حتى أنه أصبح من الصعب الفصل بين الوسيلة والرسالة حتى ذهب أحد العلماء بأنهما أصبحا شيئا واحدا[١٨].

رابعاً: المتلقي:

والمتلقي الطفل هنا يختلف في سيكلوجيته وفي مستوى تفكيره وفي البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، بل وفي عقيدته، فلقد يكون طفلا في مرحلة الطفولة المبكرة أو الطفولة الوسطى. أو الطفولة المتأخرة، ولكل مستوى درجة معينة من الفهم والإدراك وحاجات بيولوجية وسيكلوجية معينة.

وقد يكون من الاطفال الأثرياء الذين يعيشون في أسر ثرية، وقد يكونوا من الفقراء أو المعدمين.

وقد يكونوا من الأطفال الذين نبتوا في أسر متدينة أو غير ذلك من التي لا تحفل بأمور الدين.

---

١٨) Macluhan, Mardhal; The Medium is the Message second Ed, Benguin Books, P.28.

بل من المحتمل أن يتلقى الرسالة الإعلامية الخاصة بالطفولة طفل مسلم وآخر غير مسلم، وعلى الرسالة الإعلامية الإسلامية أن تراعي كل هذه الظروف والمتغيرات.

إن الهدف النهائي من عملية إعلام الطفل هو زرع القيم والمفاهيم الإسلامية في عقول هؤلاء الأطفال فيقبلون على ما يوافق عقيدتهم ويرفضون ما دون ذلك، ويستطيعون التمييز بين الخير والشر، والهدى والضلال.

والحل يكمن في تحصين هؤلاء الأطفال دون حرمانهم، بمعنى تزويدهم بالمعايير التي من خلالها يتم الحكم على ما يسمعونه أو يشاهدونه، فيستطيعون التمييز بين الخير والشر والهدى والضلال ذلك أن الطفل المسلم المعاصر يواجه بالعديد من القنوات الفضائية والمحطات الإذاعية، التي قد تقدم له أعمالا غير مقبولة أو مشاهد مخلة لا تتفق مع طبيعته ومكونات فكره وعقيدته، وهذه قضية دقيقة يجب أن نتعرف عليها، إذ كيف نحقق للطفل المسلم حق المعرفة والإتصال، ونتيح له روافد الفكر العالمي ليعرف ما يهمه منها، وفي نفس الوقت نحقق له الحماية من آثار ما يراه أو يسمعه من أعمال لا تقرها عقيدته ولا يسمح بها دينه، لا سيما أن طبيعة الطفل ستجعل الحيلولة بينه وبين مشاهده ما هو متاح أمامه يزيده عناءا وشوقا لرؤية هذا الذي حرم منه، وهذا يتطلب ضرورة تضافر كافة الجهود لزرع الاتجاهات السليمة والتي تنبثق من الينابيع والأصول الإسلامية الصحيحة ذلك لأن وجود هذه الاتجاهات السليمة لدى الطفل تجعله يقبل أو يرفض أو ينتقي ما يسمعه أو يشاهده أو يقرأه، لأن تأثيرها عليه سوف يكون كبيرا اذا تغاضينا عن بناء هذا الاتجاهات الإسلامية لدى الأطفال بصورة صحيحة.

المعالم الرئيسية لإعلام الطفل

إذا كان الطفل المسلم يتفق مع نظيره غير المسلم في الجوانب الخلقية المختلفة، إلا أنه يختلف معه في البنية الفكرية، وبالتالى فإن الأسس التى يقوم عليها إعلام الطفل المسلم لا بد أن تأخذ في اعتبارها الأمور التالية:

أولاً: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

لا بد أن تعمل أجهزة الإعلام على أن تزرع في كيان الطفل منذ البداية فريضة هامة من الفرائض الإسلامية وهى فريضة التناصح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فيعرف دوره ومكانه نحو هذا الواجب الذى تلزمه به عقيدته، وذلك مصداقا لقوله - عز وجل -:

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ (١٩).

ومن هنا وجب تربية أبناء المسلمين على هذا المنهج ليكونوا دعاة لله مجاهدين بالكلمة الطيبة، دون إكراه أو عنف أو عدوانية، أو تطرف أو تقاعس، وليكونوا بحق أبناء لخير أمة أخرجت للناس، سائرين على منهج رسولهم الكريم الذى قال الحق - جل وعلا - على لسانه:

﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ (٢٠).

---

(١٩) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٢٠) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

ثانياً: زرع الأمل والترغيب في الإيمان مع التخفيف من الترهيب:

إن الطفل المسلم يجب أن يزود بالجرعة الإعلامية التى تناسب جهاز استقباله البشرى الضعيف، من خلال إعطائه الأمل في الحياة والجزاء نظير الإيمان والعمل والصبر والطاعة في غير معصية والحب في الله، والتواضع، والحياء، ومراعاة حقوق الغير والشجاعة، والصدق، والحلم.

ذلك أن الترهيب الذى قد يسمح به للكبار ربما يصيب الصغار بحالة من الرعب، والفزع والاحباط، واليأس.

وبالتالى فلابد من الابتعاد عن صور الرعب التى تقدمها بعض الأعمال الدرامية كالعنف، وسفك الدماء، والقتال بالسيف، وما إلى ذلك مما لا يحتمله الطفل، فإذا كان هذا الأسلوب قد لا يصلح مع الكبار في كثير من الأحيان فما بالك بالأطفال، يقول الله – تبارك وتعالى – لرسوله الكريم:

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (٢١).

ثالثاً: تقديم المثل والقدوة:

إن إعلام الطفل المسلم يمكن أن يحقق أهدافه من خلال القدوة، وما أكثر الأمثلة والنماذج الرائعة التى يمكن تقديمها للطفل المسلم في التاريخ الإسلامي، فالرسول الذى لا ينطق عن الهوى، ورقة أبى بكر، وعدل عمر، وبذل عثمان، وفدائية على، وبطولة خالد، وزهد عمر بن عبد العزيز، وكفاح صلاح الدين، إلى غير ذلك من النماذج الإسلامية في الطب والفلسفة والرياضيات وغير ذلك من النماذج الجديرة بالاقتداء والفخر من جانب

(٢١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

الأطفال المسلمين شريطة أن تقدم بصورة مشرقة وجذابة في قوالب إعلامية فنية تحقق استمالية الأطفال.

يقول هاملتون جيب في النبى القدوة:

«أنه ليس من قبيل المبالغة أن قوة تأثير شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) على مواقف المسلمين والتى تلقى كل التبجيل، هى عبارة عن شعور تلقائى وطبيعى لا يمكن تحاشيه، سواء كان ذلك في عهد الرسول أو من بعده، لقد كان ذلك أكثر من مجرد إعجاب، ويكفى أن نذكر أن علاقة الحب والإعجاب التى غرسها الرسول في قلوب أصحابه قد أنبعث أثرها ومداها عبر القرون، ويتم أثارتها في قلب كل جيل»[٢٢] وهكذا نرى أن القدوة هى المدرسة الأولى التى يتعلم فيها الطفل، لا سيما أن معرفة الأطفال للدين لا تكون عن طريق التلقين والشرح والإفاضة والتكرار بحسب، فقد ينصرف الصغار وحتى الكبار عن هذا الأسلوب[٢٣].

رابعاً: البساطة والوضوح في مخاطبة الطفل:

يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»

ومن هنا تأتى أهمية مخاطبة ملكات هذه الشريحة العمرية برفق ولين، لا سيما أن هذا الدين يخاطب فطرتهم التى فطرهم الله عليهم، ويربط في

---

٢٢) Gib, AR, Hamiton Studies on Cirilization of Islam, R.Poutted and Kegan pout Limited. 1962.

(٢٣) عبد التواب يوسف: الإعلام الإسلامي وزرع القيم في نفوس الأطفال، القاهرة، مؤسسة اقرأ الخيرية، ١٩٩٢م، ص ١٠.

تناسق وأنسجام بين ما يتضمنه من حقائق وبين واقع الناس[٢٤].

وقد صدق المستشرق الانجليزى توماس أرنولد حين قال:
«أن فهم العقيدة الإسلامية لا يحتاج إلى مقدرة عقلية خاصة وملكات ذهنية كبيرة»[٢٥] فهذه العقيدة تخاطب أدنى المستويات العقلية والإدراكية لأنها خالية من التداخلات والحيل النظرية أو اللاهوتية[٢٦].
ويمكن تبسيط وتقريب المضمون الدينى للأطفال بوسائل فنية جاذبة.

وقد أكدت دراسة اجرتها الدكتوره/ إنشراح الشال اهتمام الطفل بالصورة الإلكترونية والمتحركة وأكدت على ضرورة الاهتمام بالرسوم المتحركة ذات المضمون القيمى للتليفزيون والفيديو والتى يتم استقاؤها من التراث والواقع الإسلامي وكذلك أغاني الأطفال والأغانى العامة، لأن الطفل لا يشاهد البرامج الموجهة إليه فقط ولكن تبين من هذه الدراسة أنه أكبر مستهلك لبرامج التليفزيون بصفة عامة مما يحتم علينا مراعاة كل ما يبث من خلال الشاشة الصغيرة[٢٧].

---

(٢٤) محيى الدين عبد الحليم، الدعوة الإسلامية والإعلام الدولى، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٩م، ص ٤٠.

(٢٥) ارنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١م، ص ٢٥٤.

(٢٦) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ط٤، ج١، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣م، ص ٢١٦.

(٢٧) إنشراح الشال، علاقة الطفل بالوسائل المطبوعة والإلكترونية، القاهرة، دار الفكر =

ويمكن أن يقدم هذا المضمون من خلال الأعمال الدرامية، وكثيرا ما استخدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) القصة لتهذيب النفوس، والقرآن ملئ بالقصص ذات العبرة، فإذا تتبع الطفل المسلم نتيجة أحداث القصة انطبعت نفسه بتعاليمها، وتحكى بصفات أبطالها[٢٨] وكذلك أسلوب القصص غير القرآني وهو من الأساليب التى حققت نجاحا كبيرا في حقل الدعوة الإسلامية، وتختلف القصص غير القرآنية عن القصص القرآنية في أن الثانية ما هى إلا جزء من كتاب الله حملها الوحى إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، في حين أن الأولى تعتمد على الترغيب والترهيب[٢٩].

=العربى، ١٩٨٧م، ص ١٩٦.

(٢٨) عواطف إبراهيم محمد، الاحساس الدينى عند الأطفال، القاهرة، مكتبة المعارف الحديثة، د-ت ص ٢١.

(٢٩) عبد اللطيف حمزه، الإعلام في صدر الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧١م، ص٧٧.

مكانة اللغة في إعلام الطفل

اللغة في أهم أدوات التعبير والتفاهم بين الإنسان، وهي نتاج لثقافة معينة وتشتمل على الكلمات والتعبيرات التي تسمى الأشياء وتصف الأفكار والعلاقات والقيم.

وقد اختص الله بها الإنسان بين سائر الفصائل الحيوانية الأخرى، لأنه يتميز بطائفة من المراكز المخية التي تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة، كمركز إصدار الألفاظ ومركز حفظ الكلمات المسموعة(٣٠).

وتلعب اللغة المشتركة دورا بارزا في حياة الجماهير لأنها السبيل لفهم الأشياء المحيطة بهم، والطريق لربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض(٣١).

وإذا كنا نتحدث عن إعلام الطفل المسلم، فإن اللغة العربية يجب أن تحتل مكان الصدارة في اهتمامات وسائل الإعلام العربية، فهذه الوسائل تتحمل المسئولية الأولى في الارتقاء بالمستوى اللغوى للأطفال أو العكس.

ويكفى العربية فضلا أنها ملازمة لدين الله وأن الحق - جل وعلا - قد حفظها بكتابه الكريم، وكانت لسان نبيه المصطفى، وأن الثقافة الإسلامية في صميمها ثقافة عربية بلسان رسولها الكريم، عربية بلسان من استقبلوا دعوتها وحكموا بشريعتها، عربية بالوطن العربى الذى طلعت فيه شمسها، وتجلت فيه

(٣٠) على عبد الواحد وافى، علم اللغة، ط٥، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٢م، ص٨٧.

(٣١) عبد العزيز شرف، اللغة الإعلامية، القاهرة، المركز الثقافى الجامعى، ١٩٨٠م، ص ١٤.

آياتها، فإذا كانت وسائل الإعلام معنية بزرع المفاهيم والقيم الإسلامية في نفوس الأطفال فعليها أن تعلمهم وتدربهم على استخدام لغة القرآن الذى لا يمكن تذوقه واكتشاف كنوزه إلا من خلال العربية وفي ذلك يقول الحق جل وعلا:

﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾[٣٢].

وقد أدى الابتذال واستخدام بعض الألفاظ والكلمات الهابطة التى تتردد على ألسنة الممثلين وغيرهم في وسائل الإعلام، وعدم الحفاظ على الحد الأدنى من الأصول والقواعد اللغوية إلى تأثر الأطفال بما يسمعون ويشاهدون، وشيوع الكلمات والمصطلحات غير اللائقة بينهم[٣٣].

(٣٢) سورة فصلت، الآية ٣.

(٣٣) محي الدين عبد الحليم وحسين الفقى، العربية في الإعلام، القاهرة، دار الشعب، ١٩٨٨م، ص ٣٨.

الترويح وإعلام الطفل المسلم

إذا كانت الدراسات النفسية تعتبر الترويح مطلبا إنسانيا فإن الإسلام ينظر إليه نظرة واقعية ويهتم به ويضعه في إطاره الصحيح، وإذا كان ضرورة من ضرورات الحياة للكبار فإن ضرورته للصغار أهم وأقوى.

ولم ينه الإسلام إلا الألوان عن الضارة من الترويح، محققا بذلك التوازن والملاءمة بين احتياجات الأطفال ومطالبهم، فقد أباح كل ما خلا من الفحش والفساد واشتمل على الفضائل ومكارم الأخلاق، أي أن الإسلام لا يعارض الترويح بل يدعو إليه، ويعده أحيانا مما يتقرب به العبد إلى ربه، يؤكد ذلك ما قاله الرسول (صلى الله عليه وسلم):

«إن أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على النفس»

من أجل ذلك حرص الإسلام على الترويح، وكره الغلو في الطاعات، ومن هنا يصبح من المهم في برامج الأطفال إستبعاد الشخصيات العابثة والمناظر المتجهمة والموضوعات المملة مع تقديم المواد الدينية بصورة جذابة تشد انتباه الأطفال، وتثير اعجابهم، وفي نفس الوقت عدم السخرية من الرموز التى يقتدى بها الأطفال كمعلم اللغة العربية وعالم الدين وما إلى ذلك، لأن الترويح في الحقيقة سلاح ذو حدين، فهو يصلح ويفسد، لذا وجب أن يتم بحذر وقدر، حتى لا يصبح عبئا وعبثا ولهوا عن جديات الحياة، وحتى لا يتحول إلى مخدر يلهى الأطفال عن الأمور الهامة في حياتهم.

وبهذا تستطيع برامج الأطفال أن تسهم في استثمار الوقت بما يعود عليهم بالمنفعة ويطرح عن نفوسهم ما يعلق بها من اثقال وأدران.

والتليفزيون بصفة خاصة يتصدر وسائل الإعلام الأخرى في هذا الصدد حتى أصبح العصر الذى نعيش فيه يسمى بعصر التليفزيون Children Of Television الأطفال أنفسهم يطلقون عليهم أطفال التليفزيون، وساعدت الأقمار الصناعية على تحقيق هذه الطفرة التليفزيونية مما كان له أبعد الأثر في تحقيق الجاذبية والمتعة للمشاهدين(٣٤).

(٣٤) سعد لبيب، الدور التثقيفى للاذاعة والتليفزيون، قطر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٣م، ص ٥.

مكتبة الطفل

تشتمل مكتبة الطفل مدلولا أشمل من أنها مجموعة من الكتب، يتم تنظيمها بشكل معين، ولكنها وجدت لكي تدعو من لا يقرأ لكي يقبل على القراءة بهدف الارتفاع بمستوى مدارك هؤلاء الأطفال، وتمكينهم من الحكم على الأمور حكما سليما(٣٥).

ومن هذا المنطلق، فإن مكتبة الطفل المسلم لا تكتفى بمجرد الإمداد، وإنما أصبح الانجاز الكامل لرسالتها يتمثل في دورها الإعلامي حين تدعو الطفل لكي يقبل على القراءة وترشده إلى كيفية القراءة.

وتعتبر المكتبات الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التى لعبت دورا كبيرا في نشر المعرفة بين المسلمين(٣٦).

ويمكن تعميم مكتبة الطفل في المنزل، والمسجد، ودار الحضانة، والمدرسة والحدائق العامة، على أن لا يكتفى فيها بالمواد المطبوعة التقليدية، ولكن لابد من تزويدها بالمواد السمعية والبصرية وغير ذلك من المعطيات العصرية وهذا يتطلب تعاونا وثيقا بين الإعلاميين والتربويين والمتخصصين في علوم المعلومات والمكتبات.

---

(٣٥) أحمد أنور عمر، المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م، ص ٣.

(٣٦) محمد ماهر حماده، المكتبات في الإسلام، نشأتها وتطورها ومصدرها، دمشق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٩٧٠م، ص ٨٢.

ذلك أن هذا التعاون لا يزال في مستوياته الدنيا رغم جهود التنسيق وصيغ التعاون القائمة على المستوى الوطني في عدد من الدول العربية، خاصة أن كل من هيئات الإذاعة والتليفزيون وهيئات التربية في العالم الإسلامي لا تزال خدمات حكومية(٣٧).

وأخيراً فنعلنا نتمثل قول الحق - تبارك وتعالى - في سورة النحل:

﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾(٣٨).

(٣٧) حمدى قنديل، التكنولوجيا الاتصالية وأثرها على التربية، القاهرة، اللجنة الوطنية المصرية لليونسكو، ١٩٦٣م، ص ١٧.

(٣٨) سورة النحل، الآية ١٢٥.

التربية الدينية الإسلامية
وتحديات القرن الحادي والعشرين

للدكتور/ عبد الوهاب محمد كامل(*)

المقدمة والتساؤلات:

الحق تبارك وتعالى يذكر في كتابه العزيز إنما يخشى الله من عباده العلماء، والخشية من الخالق عند العلماء تمثل قوة دافعة حضارية تدفع بالمسلمين إلى التقدم والازدهار والرخاء والتحكم الذاتي ومواجهة طوفان متغيرات العصر. أن العقيدة الإسلامية ظلت وستظل في ضوء علم مقارنة الأديان أقوى وأعظم العقائد الإيمانية الدينية التي جمعت بين الدنيا والآخرة في منظومة رائعة تقدم للإنسان الأمل والسعي وراء الدنيا، وفي نفس الوقت تدفعه إلى الأعمال الصالحة والعبادة الصحيحة ابتغاء مرضاة الله طمعا في الجنة ووقاية من عذاب النار ويشهد التاريخ بالإدلة المادية الدامغة أن الدولة الإسلامية العالمية قادت وسيطرت على العالم بأسره قرابة خمسة قرون. بداية من القرن الثامن الميلادي وحتى منتصف القرن الثالث عشر ميلادية، وعندما نتساءل عن ما الأسباب التي أدت إلى ذلك النجاح الرائع في تلك الفترة؟ ونجد الإجابة ببساطة شديدة تنحصر في شهادة لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قد ظهرت جلية واضحة راسخة واثقة في التطابق التام بين الأقوال والشعائر والطقوس من جانب وبين الأفعال والأعمال التي يؤديها المسلم من جانب آخر، ويعني ذلك أن المنهج الإسلامي قد أثبتت وجوده قولا وعملا. فانتصر

(*) أستاذ علم النفس وكيل كلية التربية جامعة طنطا

وانتشر وساد أعمالاً لقوله تعالى: ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ صدق الله العظيم. والذى يقوم بتحليل تلك الفترة يجد أن المنهج الإسلامي في الحياة قد شدد واهتم وارتكز على السلوكيات القرآنية التى يمكن رصدها بدقة وموضوعية دون التركيز فقط على الحفظ والتقليل الأعمى والتهيؤات بدون فهم وتحليل وتطبيق عملى.

من أعظم العلامات التى يسجلها التاريخ على المسلمين في تلك الفترة انحصرت في: الصدق الإخلاص والأمانة والدقة والموضوعية لدرجة أن جميع الأعمال العلمية والبحوث المبتكرة بما تحمله من صدق ودقة وموضوعية كانت تترجم إلى اللاتينية وإلى مختلف اللغات (كويلرينج) سنة ١٩٥١م.

كما أن صادرات المسلمين الفكرية بجميع المجالات كانت تغزوا جميع بلاد العالم ولا يغيب عن عقولنا أن إتقان اللغة العربية كان شرطاً أساسياً لمن يريد أن يتعلم العلم والقرآن.

ويرى جورج سارتون SARATON أن الدين الإسلامي كقوة فكرية جمعت قلوب الناس على التوحيد كان سببا أصيلا في انتشار العلم الإسلامي الذى غزا العالم أجمعه وعلى الأخص في العصور الوسطى وانتصار الدين الإسلامي ممثلاً في العلم الإسلامي قد حدث كنتيجة حتمية لسببين:

١- قوة العقيدة والإيمان كمصدر للطاقة المحركة لنشاط المسلمين.

٢- المنهج العقلى وقدرتهم على نقل وإعادة وتطوير دروس الماضى من خبرات الأمم المختلفة. (كويلرينج: الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته الألف كتاب رقم ١١٦).

ويوضح زكى نجيب محمود في كتابه رؤية إسلامية "كيف يعود الإسلام إلى قوته، إذا هو جعل العبادة تتسع في معناها لتشمل بكل جدية واهتمام محاولات الكشف العلمى عن أسرار الكون كشفا لايقتصر على مجرد العلم في ذاته بتلك الأسرار بل يجاوز ذلك إلى تحويل العلم إلى عمل "وعندما نتعلم من الآيات القرآنية والأحاديث فمن الضرورى أن تتحول إلى عمل وسلوكيات نأخذ فيها بالأسباب. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إنا مكناه في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا. فأتبع سببا﴾. كما جاء في القرآن الكريم ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾.

والله سبحانه وتعالى قد مكن الإنسان في الأرض وسخر له كل شيء لكى يحسن تعمير الكون من خلال تحقيق مضمون الإسلام. "الدين والجسم ممثلا في العرض، النفس، المال، العقل"، وقد نجحت جميع الدول الغير الإسلامية فيما مضى في الاستفادة العظيمة من جوهر الإسلام وعظمته حيث يوضح المؤرخ الأمريكى درابر: كيف أن أهل الفكر في الغرب في نهاية القرن الثامن الميلادى يندبون حظهم ويتحسرون لأن الإسلام لم يدخل بلادهم حيث أظهر ذلك المؤرخ الفرق الهائل بين حضارة دول الإسلام وحضارة أوربا التى غرقت في دياجير الظلام أكثر من خمسة قرون.

- هل يأخذ المسلمون بالأسباب في ذلك العصر؟

- هل يصدر المسلمون العلم والفكر أم هم الآن مستهلكون سلبيون في مواجهة طوفان القرن الحادى والعشرين؟

– هل سنظل نكتفى بالشعائر والطقوس المظهريـة دون الجوهـر العملـى والتطبيق في الحياة؟

– ما الذى يمكن أن يؤديه تدريس التربيـة الدينيـة الإسـلامية الـذى يقـوم على مجرد الحفظ والتقلين أمام طوفان" الديش Dish وثورة المعلومات وثورة الإتصالات والهندسـة الوراثيـة والطاقـة النوويـة؟ والأقمـار الصناعيـة وسـائل الإعلام المتطورة؟

– هل يمكن أن يكتسب المسلمون المناعة الفكرية الإيمانية العمليـة ضـد محاولات التغريب التى يتعرض لها العالم الإسلامي؟.

– هل آن الآوان لتحويل التربية الدينية من مستوى الحفـظ والتلقين إلـى برامج تحقق للمسلمين مايصدقه العمل؟

وتهدف الدراسة الحالية إلى توضيح:

– النضج الدينى والتربية الدينية.

– التربية الدينية بالترهيب أمر مرفوض.

– متطلبات التربيـة الدينيـة الإسـلامية لمواجهـة تحديـات القـرن الحـادى والعشرين.

– السلوكيات القرآنية وكيفية اكتسابها.

– التوصيات.

النضج الديني والتربية الدينية

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾، تشير تلك الآية الكريمة إلى أن الإنسان يمر بمراحل تكوينية في جميع الجوانب لينتقل من الضعف إلى القوة والنضج ثم الضعف مرة أخرى.

وكما أن الإنسان ينتقل من مرحلة عدم النضج في جميع الجوانب الجسيمة، الانفعالية، العقلية، والمعرفية، إلى مراحل النضج والفهم لنقول: إن ذلك الفرد ناضج جسيماً وفكرياً وعقلياً وانفعالياً بالإضافة إلى النضج في التصرفات، فإن التربية الدينية الإسلامية يجب أن تساعد في الوصول إلى النضج الديني، فالفهم الساذج السطحي، الحرفي الضيق يمنعنا من مواجهة متطلبات القرن الحادي والعشرين ويشير إلى عدم النضج الديني وإن كان الإنسان يرقى بعباداته وأفعاله وأعماله من مستوى إلى مستوى أعلى، فمن الغريب جدا أن نجد شباباً لم يمر بالمراحل الأساسية في تعليم واكتساب المفاهيم الدينية وقد اعتبر نفسه أميراً للمؤمنين وسط جماعته وهو لايزال غير ناضج من الناحية الدينية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الأسنان (غير ناضجين) سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ولا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

ومن الضروري للغاية أن تحقق التربية الدينية النضج الديني والذي يعني استيعاب المفاهيم الدينية بالتدريج طبقا للعمر الزمني في كل مرحلة

ولايصح إطلاقا أن نلزم الأطفال في مراحل الحضانة والمدرسة الإبتدائية بأمور صعبة وطقوس شديدة لاتتناسب مع المرحلة التعليمية، فعندما يتم غرس المظاهر دون السلوك والتعصب الأعمى والفهم الخاطئ فإن ذلك يؤدى إلى الانغلاق الديني والفكري. ولعل أرقى صورة النضج الديني يمكن تحقيقها عندما تقترن الفروض الخمسة الأساسية للإسلام بالصدق والإخلاص والإتقان في العمل وتحصيل العلم ومحو الأمية وزيادة التصدير وذلك من خلال دروس عملية وتحليل السور والآيات من خلال المواقف المدرسية واليومية.

ويؤكد يوسف القرضاوى في كتابه الإيمان والحياة على ضرورة ربط الإيمان بجوانب حياة المجتمع، وليس الإيمان هو مجرد إعلان المرء بلسانه أنه مؤمن، وليس هو مجرد ذهنية بحقائق الإيمان وإنما هو في أخلاق حية وأعمال ناصعة.

مما سبق يتضح أن النضج الديني هو حتمية التطابق بين الأقوال والأفعال، وتصديق العمل على ما وقر في القلب. وحتى يمكن الوصول إلى نضج ديني سليم لابد من:

١- القدوة والنموذج.
٢- مستوى المعرفة.
٣- التذكرة.
٤- الفهم
٥- الممارسة العملية التطبيقية.

ولعل تقييم الوضع الراهن للتربية الدينية الإسلامية يشير للأسف الشديد أننا مازلنا فقط عند مستوى الحفظ والمعرفة وهو أدنى مستوى للنضج الديني حيث من الضرورى التدرج إلى المستويات الأعلى التى تنتهى بالتطبيق العملى، ثم يصحح النسان أخطاءه باستمرار. وخلاصة القول: إن مستوى التربية الإسلامية في المدارس والمؤسسات التربوية والإعلامية لايرقى

بالإنسان المصرى لكلى يستقبل ويواجه تحديات ومطالب القرن الحادى والعشرين.

التربية الدينية بالترهيب أمر مرفوض

تلجأ جميع النظم السياسية والدينية والحكومية إلى أسلوب الترهيب لتعديل سلوك الفرد أو لإجباره على تنفيذ أمر معين دون الآخر.

والذى يقرأ في تاريخ الأمم يجد أن هذا الأسلوب يؤدى حتما إلى التدمير الحقيقى للبشرية، وأن نجاحه المؤقت ليس دليلا على صلاحية الترهيب في التربية، ذلك لأن الترهيب يمثل درجة عالية وحرجة من الخوف لايحمد عقباها، فالإنسان الحر ذو الشجاعة الأدبية ذو العقل الراجح هو القادر على الإبداع والتفكير والبناء والتنوير.

ولعلنى أسجل في ذلك المقام أن هناك العديد من مواقف الترهيب التى تصل إلى حد القتل المعنوى للطفولة تمارس داخل مؤسسات رعاية وتربية الأطفال في دور الحضانة لمرحلة ماقبل المدرسة، بما يسئ إساءة شديدة للتربية الإسلامية، فعندما نزرع الخوف والرعب في أطفالنا باسم الدين فإن النتيجة الحتمية هى سلب الشخصية والإرادة والحرية، فالتخويف والترهيب من الاستماع للموسيقى وممارسة الألعاب العقلية كالشطرنج والألعاب المسلية المنشطة للذكاء والنشاط الفنى الحر، يؤذى بشدة ويؤدى إلى تعطيل أجزاء كثيرة من المخ البشرى، فإذا كان الجسم يحتاج إلى جميع أنواع المواد الغذائية بشكل متكامل فإن المخ يحتاج لكى يكتسب صفات العقل المتكامل إلى جميع أنواع المعلومات التى تتفاعل معا ليتمخض عنها السلوك القويم والقدرات والشخصية والابتكارات والتكنولوجيا... إلخ بشرط أن يتم تقديم المعلومات

بالنوع والقدر والمستوى الذى يناسب كل مرحلة عمرية.

إن جميع أطفال العالم تستمع باللعب والموسيقى والرياضة والأنشطة الفنية الحرة وقد رخص الإسلام للأطفال فترة تبدأ من ميلاده وحتى البلوغ أن يستمتعوا بكل معطيات العصر التى تنمى الطاقات الجسمية والعقلية والمهارات العلمية... إلخ.

ونحن باسم الدين نمنعهم من ممارسة تلك الأنشطة المتاحة جهلا منا بما أوصى به الدين.

متطلبات التربية الدينية الإسلامية لمواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين

وحتى يمكن بناء مقررات للتربية الدينية الإسلامية تضع البراعم الصغيرة من الأطفال والتلاميذ وكذلك الأجيال القادمة في الطريق السليم لمتغيرات القرن الحادى والعشرين، يمكننا أن نطرح التساؤلات الآتية:

- أين موقع التربية الدينية الإسلامية من ثورة المعلومات والاتصالات التى تفرض نفسها وتتغلغل بشدة رغما عن إرادة المجتمع الإسلامي وبدون رضاه؟

- أين موقع التربية الدينية التى تقوم على مجرد الحفظ والتلقين فقط دون العمل من ثورة الهندسة الوراثية؟ وثورة الإرسال عن طريق التليفزيون ذاتى الطبق Dish والأعوام القادمة سوف تشهد بسرعة اختفاء جميع موديلات التليفزيونات الحالية ليجد الإنسان المسلم نفسه أمام مجموعة من الأذرة يضغط عليها لينتقل إلى أى مكان في العالم بعيدا عن أى إدارات للرقابة على المصنفات، وهنا يبرز دور التربية الدينية الإسلامية في إكساب

الأطفال بعقل وحكمة ونظام أساليب الرقابة الذاتية Self Monitoring إعمالا لما جاء في الأثر «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم» والإجابة على تلك الأسئلة تنحصر في أن جميع المؤسسات الدينية وجميع المقررات الدينية تهتم بالحفظ والاستظهار الذاتى بدون إعمال العقل والموضوعية في تحويل الأحاديث والآيات القرآنية الى برامج عمل.

كيف تواجه التربية الدينية الإسلامية تحديات القرن الحادى والعشرين:

وللخروج من مأزق مواجهة القرن الحادى والعشرين بجميع تحدياته يجب:

أولاً: حصر الآيات القرآنية والأحاديث التى توضح قيمة العلم والعمل في حياة الإنسان والشعوب وأن تحصيل العلم بإيمان وإخلاص هو أعلى مرتبة للجهاد في سبيل الله، والعلم هو الذى جعل الصهيونية العالمية وإسرائيل تمتلك القنبلة النووية لتفرض إرادتها بمنطق القوة عندما تحتاج لذلك. فهل يمكن أن يتعلم الأطفال الموضوعية وطلب العلم من خلال مقرر التربية الدينية؟

ثانياً: عدم إدخال الأطفال وإخضاعهم بالترهيب إلى دائرة التحريم لأن اتساع دائرة التحريم في الأعمار الصغيرة بدون فهم ووعى وتدبر يؤدى إلى ضعف المقاومة الذاتية أمام متغيرات العصر، وبالتالى يفقد الفرد المناعة النفسية والفكرية التى تساعده في مواجهة ومقاومة التحديات الحضارية فإذا كان البالغ العاقل الرشيد يصعب عليه التفرقة بين المحرم والمحلل فما بالنا بالأطفال الذين يتعرضون إلى قهر التحريم منذ نعومة أظافرهم وعلى سبيل المثال لا الحصر.

نحن نحرم أطفالنا مثلا من لعب الشطرنج وفي نفس الوقت تسمح إسرائيل للأطفال بلعب الشطرنج، وعندما ينمو ويبدع في تلك اللعبة يمكن أن يلتحق بعد حصوله على الدرجة العلمية المناسبة بالكليات العسكرية ويصبح عقلية حربية استراتيجية بسبب ممارسته منذ الصغر لعبة الشطرنج، ويمكن أن نقيس على ذلك آلاف الأشياء التى تحرم منها أطفالنا باسم الحرام.

ثالثاً: من الضرورى حصر الآيات القرآنية والأحاديث التى تحث على العمل وحسن التعامل مع المال وإبراز السببية والموضوعية.

ثانياً: مسئولية السلوكيات الإسلامية:

نعتقد خطأ أن المسئول عن تربية السلوك الإسلامي وتحويل الأقوال والآيات القرآنية والفروض الخمسة إلى أفعال وبرامج عمل مقننة، هو معلم التربية الدينية فقط، والقول: بأن معلم العلوم والرياضيات والتاريخ... إلخ غير مسئول وهو لب المشكلة وذلك أن كل تخصص يمكن أن يسهم في بناء سلوك دينى من خلال مواقف ترتبط بالمادة الدراسية ويمكن إقناع التلاميذ بضرورة اللغات الأجنبية.. مثلا على أساس أن مبدأ الإسلام هو من عرف لغة قوم آمن مكرهم أو شرهم، فالقدوة والنموذج يمكن أن نجدهما في مختلف المواد الدراسية.

ثالثاً: أن الاتفاق بين المعلمين على قضايا دينية تقوم على الأركان الخمس الأساسية للإسلام يجب عدم الاختلاف عليها إطلاقا لو أردنا اللحاق بالقرن الحادى والعشرين وهى:

١- تحويل الآية الكريمة ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾.
إلى برنامج عمل وله خطة بشأن تشجيع القراءة ومحو الأمية وعمل المسابقات ليس فقط فى حفظ القرآن ولكن من يفوز هو من يثبت أو يظهر أن الآيات والأحاديث يقوم بتطبيقها بالفعل، فإعطاء المكافآت فقط عن عملية الحفظ لايبنى السلوك والفعل الإسلامي.

٢- تحويل آيات العمل إلى برامج توضح أن العمل والجهد والعرق والكفاح هو الذى يصنع الأمم ثم يأتى الدعاء بعد ذلك وليس العكس.

٣- أن يشترك الإعلام في النوعية المكثفة من أجل النظام مع طرح خطوات اكتساب السلوك المنظم في كل شيء، لأن النظام يوفر الجهد والوقت والمال. فالاتفاق على أن النظام قيمة إسلامية لابد أن يكون هدف التربية، فعلى الرغم أننا على مشارف القرن الحادى والعشرين فما زال الإنسان المصرى يعانى من ركوب السيارة والمترو والأوتوبيس والتعامل المنظم مع صور الحياة.

٤- يجب حتما أن نتفق على تحويل الحديث الشريف: «النظافة من الإيمان» إلى برنامج تربوى سلوكى يعلم الأطفال سلوك النظافة مع النظام بدلا من التخويف والترهيب والحرمان والإذلال والعقاب الذى يرتكب باسم الدين الإسلامي والدين الإسلامي برئ من تلك المعاملة السيئة للأطفال.

٥- لابد أن يكون سلوك الحب والسلام من المبادئ التى يتفق عليها جميع المعلمين في الاجتماعات الشهرية حتى تتحول المدرسة إلى

خلية تعاون وحب ومنافسة شريفة إعمالا لقول الحديث: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه».

٦- لابد من الاتفاق الكامل والتام على وضع الصندوق وتنفيذ الوعد (الوعد يكون طبقا للمقدرة والصلاحية) وصيانة الأمانة كهدف إسلامي تربوى قومى. مما سبق لابد من الربط التام في الشرح والدروس والعمل بين الأركان الخمسة الأساسية للإسلام كفروض ودعامات يقوم عليها الإسلام بتلك المجالات الستة سالفة الذكر عندئذ يمكن أن تقول للعالم: هذا هو الإسلام يتحدى.

رابعاً: وضع دليل إرشادى لمعلم التربية الإسلامية يتضمن كيفية البداية بحيث ينبغى أن نبدأ من المحسوس دائما إلى المجرد مع اختيار النصوص القرآنية السهلة والمستساغة والتى يمكن تطبيقها عمليا، وهكذا بالنسبة للأحاديث، وأرى ضرورة أن يتضمن الدليل دروساً نموذجية تقوم على تحليل السورة أو الآية أو الحديث من حيث:

١- علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى بأداء الفروض.

٢- ضرورة أن تظهر الفروض في: تأكيد قيمة العلم والقراءة والنظام والعمل لزيادة الإنتاج.

٣- ضرورة التأكيد على مبادئ السلام وأن يحب المسلم لأخيه مايحب لنفسه.

٤- ضرورة إظهار الاهتمام بالنفس والجسم والصحة والنظافة وحسن المعاملة.

٥- لابد أن يتضمن الدليل بعض المواقف التربوية العملية من خلال الحياة يمكن للتلميذ أو المتعلم أو يؤديها كتطبيق لمفهوم الآية القرآنية أو الحديث.

السلوكيات القرآنية وكيفية اكتسابها:

جاء في كتاب رب العزة سبحانه وتعالي ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ صدق الله العظيم، والقرآن الكريم هو الدعامة الأساسية التي يقوم عليها الإسلام، وهو الأصل في السنة المحمدية التي تمثل التطبيق العملي للمنهج القرآني والذ شرع المحافظة على الكليات الخمس الأساسية في الإسلام وهي:

١- الدين. ٢- المال

٣- العرض. ٤- العقل

٥- النفس.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا كأمانة في أعناقنا هو:

هل تحقق التربية الدينية الإسلامية أهداف الكليات الخمسة السابقة بصورة عملية؟؟ هل هناك معايير سلوكية يجب استخلاصها من القرآن الكريم تمثل أحكامها على سلوك المسلمين؟؟

هل نكتفي فقط بمعيار مسابقات الحفظ؟؟ هل يمكن تنظيم مسابقات عن مظاهر السلوك القرآني في شخصية المسلم؟؟

يحدد علم النفس ثلاثة مستويات نرصد بها سلوك الأفراد وهي:

١) السلوك اللفظي التلقائي.

٢) السلوك اللفظي المستثار.

٣) السلوك العملى.

ويمكن من خلال التربية الدينية الإسلامية أن نوضح للتلاميذ والطلاب دائما أن الله يمقت أن يقول الإنسان شيئا ما أو قولا ما ويفعل شيئا آخر، ولكن تتحول الآيات الكريمة إلى أفعال عملية تطابق الأقوال فإنه من الضرورى أن يتم تدريس الدين بالنسبة للسور والأحاديث على أساس:

١) الترتيب المنطقى للسور الآيات والأحاديث في مقرر التربية الدينية الإسلامية بحيث تبدأ بالسهل الميسور المحسوس الذى يمكن ربطه بالمواقف اليومية وتنتهى بالمجرد الذى يتأمله الدارس ثم يستخدمه مرة ثانية في تطوير سلوكياته.

٢) تصميم المواقف اليومية المنزلية والدرسية والتعليمية التى تثير وتظهر السلوك المرغوب فيه، فيتعلم الطفل/ التلميذ/ الطالب النموذج السلوكى الذى توضح أنه تطبيق عملى للآية الكريمة.

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أنه قال: «حفظت البقرة في سبع سنين وكنا نأخذ الآية ونذهب بها إلى الجبال لانعود حتى نعمل بها».

٣) أن التعلم هو تغير في السلوك يخضع لشرط الدافعية والممارسة.

وذلك المبدأ يقضى بضرورة تحول الآيات والأحاديث التى نحفظها عن ظهر القلب إلى:

أ- ترغيب جميل شيق لاكتساب خلق القرآن والسلوكيات الواضحة فيه.

ب - تكرار المواقف التى يتعود الطفل من خلالها اكتساب السلوك كفعل وليس مجرد حفظ.

٤) التقييم الخارجى والتقييم الداخلى (الذاتى).

عندما يأتى الصبى بالفعل الذى يشير إلى استيعابه لمعنى الآية القرآنية أو الحديث فمن الضرورى أن يجد من يقومه ويقيمه حتى يعرف الطفل أو التلميذ مصدر الخطأ والسلوك المعيارى المراد وفي المراحل الأولى من التعليم غالبا ما ننادى بضرورة التقييم الخارجى مع مساعدة التلاميذ على أن يستوعبوا أنفسهم بوعى.

فإذا ما وصل إلى مرحلة عقلية ناضجة بدأنا نطلب منه أن يحاسب نفسه ويقيم نفسه إعمالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم».

٥- التدعيم - الإثابة:

عندما ينجح الطفل أو التلميذ أو الطالب في إظهار سلوك النموذج المستخلص من الآية القرآنية أو الحديث الناتج عن آثار التعليم بالملاحظة، فلابد أن نسارع في مكافأته على فعله الناجح المرصى، حتى إذا بلغ عمرا محددا فهو يبدأ ممارسة التدعيم أو الإثابة الذاتية فهو الذى يشعر بذاته بالثقة النفسية من الصلاة أو المذاكرة أو من المذاكرة أو من النظافة أو الصوم...إلخ.

٦- الاستمرار في التعرض للنموذج وممارسة السلوك أمر ضرورى حتى لاينطفئ ويذبل السلوك، ومن الضرورى هنا التأكيد على دور القدوة من جميع المعلمين والاتفاق الإعلامي التربوى على إظهار تلك القدوة من وقت لآخر.

الربط بين أداء الفروض الخمسة والأفعال السلوكية البناءة:

لقد نجحت التربية الدينية بالنسبة للكليات الخمس الأساسية في الإسلام في جانب الدين:

١- الشهادتين. ٢- الصلاة

٣- الصوم. ٤- الزكاة

٥- حج البيت لمن أستطاع.

والسؤال هل التصدير يزيد عن الاسترداد؟ كما كان الحال في عصر الدولة الإسلامية العالمية؟ ما هى النسبة المئوية لانتشار الكذب في المجتمع المصرى؟

هل نحن شعب قارئ ومثقف وواعى لمتطلبات الدولة العصرية في القرن الحادى والعشرين؟

هل النظافة تنتشر فعلا كسلوك دينى وقومى وحضارى وجمالى وصحى هل يحافظ المسلمون على نهر النيل من التلوث؟

هل النظام يظهر في تصرفات الإنسان المصرى والعربى كسلوك إسلامي؟

اعتقد أننا جميعا بين الحين والآخر نكرر ما قاله شيخنا الكبير الشيخ محمد عبده: «رأيت إسلاما بلا مسلمين ومسلمين بلا إسلام». عندما عاد من الخارج.

إن أزمة التربية الدينية الإسلامية الحقيقية تكمن في الانفصال بين الأركان الخمس الأساسية في الإسلام كسلوك شخصى نعيش به مع الخالق سبحانه وتعالى، ولقد نجحنا في ذلك بدرجة عالية بدون أى ضغوط، بين

سلوكيات الحياة الحضارية: عدم الكذب وزيادة الإنتاج وحب العمل، وحماية البيئة ونشر النظافة ونشر القراءة والعلم والنظام من خلال دروس التربية الدينية كسلوكيات. يؤديها التلاميذ لامجرد حفظ وطقوس.

جوانب أساسية يجب أن تظهر في التربية الدينية الإسلامية:

لكى نواجه متطلبات وضغوط القرن الحادى والعشرين فمن الضرورى المطالبة بصحوة دينية تطبيقية عملية من أجل مواكبة العصر، فالابتهالات الدينية والأدعية والطقوس فقط بمفردها لايمكن أن تقيم صرحا لأمة قوية تتحدى العالم بجوهر الإسلام وأفعاله.

إننى أقترح أن يتم تناول جميع النصوص القرآنية والأحاديث والمبادئ الإسلامية من خلال المكونات الخمسة الآتية:

١) قوة الجسم والمحافظة على العرض: وهنا لابد أن تتضمن دروس التربية الدينية مايدفع المتعلم أو الدارس إلى النظافة والتغذية السليمة وممارسة الرياضة لأن قوة المسلمين تتطلب أن يكونوا أصحاء كما يجب محاربة الوسائل الخرافية التى يلجأ إليها الكثير باسم الدين للمحافظة على الصحة، فكلنا يعلم أن العقل السليم في الجسم السليم والعكس كذلك.

٢) تفتقد التربية الدينية الإسلامية إلى إكساب الدراس أو المتعلم صفة الموضوعية في التفكير وتناول المشكلات اليومية، فهم يدفعون التلاميذ إلى التواكلية دون العزيمة والإرادة على الرغم أنها مطلب دينى أساسى.

٣) المحافظة على النفس أمر إسلامي هام يجب أن يتعلمه التلاميذ منذ الصغر ولايمكن المحافظة على النفس بالحرمان والتقوقع والانغلاق وكتابة الأحجية وما شابه ذلك من علامات عدم الفهم الدينى.

٤) المحافظة على قوة العقل من خلال التحليل المنطقي للآيات الكريمة وربط النصوص والأحاديث بمتطلبات الحياة اليومية، فالبقاء للأعقل لا للأعنف.

٥) العمل والمال: لابد أن يتناول الدارس الديني مايؤكد على قيمة العمل وقيمة الاقتصاد على أنها قوة حقيقية للمسلمين، فالتجارة وحدها فقط لاتبني أمة المسلمين، فمن الضروري التأكيد على زيادة الإنتاج والأخذ بالأسباب حتى يعلم الشباب والأطفال أن السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة بل إن التقدم والازدهار يأتي كنتيجة لسبب إسلامي أصيل هو تحمل المسئولية واحترام العمل والإتقان الحقيقي في أدائه إعملا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه﴾.

وخلاصة ما تقدم:

أننا نطلب بصحوة إسلامية تبتعد عن حرب الخلافات والاختلافات في آلاف الفرعيات التي تؤدى إلى التفرقة والمشاجرة بين المسلمين، ومن ثم يمتنعون عن العمل وعن تحقيق القوة الاقتصادية، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إذا غضب الله على قوم منحهم الجدل ومنعهم العمل».

إن الصحوة الإسلامية رفيعة المستوى تتطلب من التربية الدينية الإسلامية أن تربط الفروض الخمسة الأساسية بالسلوكيات القرآنية التي تطالب المسلمين بقوة الجسم، قوة العقل، الصدق، النظام، النظافة، زيادة الإنتاج، على أن يعمم ذلك في جميع مجالات الحياة.

القوصيات:

أولاً: ضرورة الاتفاق والتعاون بين جميع المعلمين وليس فقط معلم التربية الدينية الإسلامية على ربط واقتران السور القرآنية والأحاديث بالعلم والعمل والنظافة والصدق، والنظام، لأن تلك القيم والمبادئ تظهر في جميع التطبيقات الميدانية.

ثانياً: ضرورة أن يقوم الدعاة على المستوى الإعلامي طبقا لخطة منظمة بتقديم النماذج الإسلامية التى تدعو إلى استخدام العقل والعلم وقوة الجسم كتطبيقات عملية للدين الإسلامي مع التركيز الشديد على ضرورة الأخذ بالأسباب كمنهج إسلامي راقى يحمى المسلمين من الفقر والجهل والمرض.

ثالثاً: اشتراك خبراء متميزين في التربية الدينية وعلماء التربية والأزهر لوضع محتوى مقررات التربية الدينية وفقا لأصول مراحل النمو العقلى والنضجى لدى الأطفال بحيث يتم اختيار السور والأحاديث والآيات المحسوسة تماما في المراحل الأولى من حياة الطفل، ثم يتم إدخال الآيات والسور والأحاديث المجردة بالتدريج.

رابعاً: وضع دليل متميز لمعلم التربية الدينية الإسلامية بشرط أن يتضمن ذلك الدليل بما يأتى:

١) الأهداف الإجرائية – السلوكية من الدرس.

٢) تحليل السورة أو الحديث أو الآية القرآنية من خلال مايستخدمه الطفل للمحافظة على قوة الجسم/ – النظافة – قوة العقل – طرق

المحافظة على المال وأهمية العمل للحصول على المال السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة"

٣) تحويل الأهداف الإجرائية إلى سلوكيات تقوم على الآيات والأحاديث والسور.

٤) أن يتضمن الدليل بعض المواقف المقنعة التى يتعامل معها الإنسان في الحياة، حيث إن تلك المواقف تحث وتستثير السلوك القرآنى المراد إكتسابه أو إكسابه.

٥) ضرورة أن يتضمن الدليل وسائل مكافأة وتقوية الأفعال وليست الأقوال على عكس مايحدث الآن فإن جميع المكافآت تقدم عندما يحفظ فقط الطفل دون أن يتحول الحفظ إلى فعل وسلوك.

٦) أن يتضمن الدليل واجبات سلوكية عملية مثل درس اليوم عن الآيات والأحاديث التى تدعو إلى النظافة والعمل: إذن لابد من أن تقوم بسلوكيات كذا... وكذا.

٧) ضرورة أن يقوم المعلمون طبقا لنظام يتفق عليه بعملية تقييم سلوكيات الأطفال أو التلاميذ كل شهر من حيث الأداء العملى لا الحفظ، ثم يعلن عن أسماء التلاميذ الذين قاموا فعلاً بالتطبيقات العملية. (مع أى مكافآت أخرى).

خامساً: الابتعاد نهائيا عن دائرة الترهيب للأطفال حتى التاسعة أو نهاية المرحلة الإبتدائية، لأن الترهيب يؤدى إلى الخوف الشديد وبدوره يؤدى إلى فقدان الثقة بالنفس، ومن ثم عدم ممارسة الابتكار والحرية العقلية.

سادساً: إظهار أن التزمت الشديد واتساع دائرة الحرمان من كل شيء يضعف جهاز المناعة ولا يساعد على مواجهة طوفان القرن الحادى والعشرين.

سابعاً: ضرورة أن يقوم معلم التربية الدينية الإسلامية بغرس فكرة توحيد مصادر الفتوى والسؤال ليس كل من ارتاد منبرا يمثل مصدرا صحيحا للفتوى والتشريع.

ثامناً: بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «إذا غضب الله على قوم منحهم الجدل ومنعهم العمل» ومن الضرورى جدا أن يهتم مقرر التربية الدينية بعدم الجدال والمشاجرة على قضايا تفسيرية ومضامين تخص الفرق الدينية المتعددة أو تحويل الحوار والجدل نحو ربط أركان الإسرم الخمسة، بالصدق والنظام والنظافة وتحصيل العلم ومحو الأمية وزيادة الإنتاج.

تاسعا: من الضرورى جدا أن تقوم التربية الدينية الإسلامية بإكساب التلاميذ وسائل التعبير عن الرأى وتقبل الرأى الآخر بهدوء وعقل، مع عدم إجبار الآخرين بالقوة على الاقتناع لفكرة أو لرأى واحد فقط لابديل له.

عاشراً: عمل دورات تدريبية تقوم على المهارات وليست المحاضرات لمعلمى التربية الدينية الإسلامية بشأن استخدام التكنولوجيا المتطورة في تدريس الدين مع ضرورة إنقاذ الأطفال والتلاميذ من تنفيذ التعليمات والسلوكيات المتشددة للجماعات المتطرفة.

المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- أحمد حسين: تاريخ الإنسانية - دار القلم، سنة ١٩٦٥م. ص ١٦٧.
٣- زكى نجيب محمود: رؤية إسلامية - دار الشروق، ١٩٨٧م.
٤- عبد الرحمن بدوى: دور العرب في تكوين الفكر الأوربى - دار القلم. ١٩٧٩م.
٥- عبد الوهاب محمد كامل: تغريب الفكر الإسلامي - مؤتمر بنت الشاطئ إعلام دمياط - كلية التربية مارس ١٩٨٧م.
٦- عبد الوهاب محمد كامل: بعض ملامح تاريخ العلم وانصاف العلم العربى الإسلامي عند سارتون - المؤتمر الثقافى بدمياط - كلية التربية، مارس ١٩٨٩م.
٧- عبد الوهاب محمد كامل: الإعلام وتنمية السلوك الحضارى - مؤتمر تطوير الإدارة المحلية في مصر - كلية التجارة جامعة طنطا، فبراير ١٩٩١م.
٨- عبد الوهاب محمد كامل: الإعلام التربوى بين الذاتية والموضوعية مؤتمر إعلام دمياط - كلية التربية إبريل ١٩٩١م.
٩- عبد الوهاب محمد كامل: سيكولوجيا السلوك الاجتماعى والاتصال - مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤م.
١٠- ت. كويلرنايج: الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته - سلسلة الألف كتاب رقم ٦١١. (تم نشر الكتاب بلغته الأصلية بمطبعة جامعة برنستون، ١٩٥١م.

١١- وحيد الدين حامد: (ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم) واقعنا ومستقبلنا في ضوء الإسلام، دار الصحوة بالقاهرة، ١٩٨٤م.
١٢- يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة - مكتبة وهبة، عابدين، ١٩٩٠م.